

أثر القرآن الكريم في اللغة العربية

Uril Bahrudin

UIN Maulana Malik Ibrahim Malang

Abstract:

The study about Qur'an and its influence on Arabic language shows the importance of language study. The aim of this research is to find out the historical study of the influence of Qur'an on Arabic language which focuses on the basics, function, and characteristics of language. The article result shows that (1) the basics of language is speaking which express or understand social, cultural, psychological and mental problems. (2) Arabic language has its own characteristics such as the uniqueness in its sound, *isytiqoq*, *I'rab*, synonym, and simplicity. (3) Qur'an makes Arabic language well-preserved, stronger, and stable. In addition, it also makes Arabic language become international language and academic language which consequently brings out Arabic education program and Arabic language development.

Keyword: Qur'an, Arabic Language.

Abstrak:

Kajian tentang al-Qur'an dan pengaruhnya terhadap bahasa Arab menunjukkan pentingnya kajian bahasa, karena sesungguhnya Allah SWT memilih bahasa fasih untuk kitabnya (al-Qur'an) yaitu bahasa yang Allah jamin terjaganya melalui metode penghafalan al-Qur'an al-Karim. Artikel ini bertujuan melakukan kajian historis tentang pengaruh al-Qur'an terhadap bahasa Arab dengan fokus pada kajian hakekat bahasa, fungsi bahasa, karakteristik bahasa, dan pengaruh al-Qur'an terhadap bahasa Arab. Artikel ini menyimpulkan bahwa: (1) hakekat bahasa adalah berbicara, fungsi dasarnya adalah ungkapan atau hubungan atau pemahaman dari beberapa masalah sosial, budaya, psikologis, dan mental, (2) bahasa Arab memiliki keunikan-keunikan tersendiri yang berbeda dengan bahasa lainnya seperti keunikan dalam masalah bunyi, *isytiqoq*, *i'rab*, sinonim, dan kesederhanaan, (3) al-Qur'an menjadikan bahasa Arab terpelihara dan lestari. Di samping itu, bahasa Arab telah menjadi bahasa internasional dan bahasa akademik yang secara langsung berimplikasi pada pengembangan bahasa Arab dan pengajarannya.

Kata Kunci: al Qur'an, Bahasa Arab

أ. المقدمة:

بالفلسفة. وأما في الشرق، فقد تمثلت الدراسة اللغوية في المدرستين أيضا وهما: مدرسة الهنود ومدرسة العرب، وكانت الدراسة اللغوية عندهم منطلقة عن الدافع الديني واهتمامهم بلغة كتابهم المقدس. فالهنود قد تفوقوا في الدراسات اللغوية بفضل الدراسة الوصفية للغة السنسكريتية. واعتبر كتاب بانيني (القرن الرابع

إن اهتمام الإنسان باللغة على وجه العام يرجع إلى عصور قديمة منصرفه، فقد سجل لنا التاريخ اهتمام الأمم والشعوب وبلغتهم وعنايتهم بقضاياهم. وفي الغرب مثلا ظهرت مدرستان مشهورتان أساسيتان، هما: المدرسة اليونانية واللاتينية، وكان عملهم اللغوي مرتبط

ب. حقيقة اللغة ووظائفها:

لقد عرف ابن جني اللغة بقوله : "حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"^٣. فمن تعريف ابن جني فهمنا أن اللغة حقائق لا بد منها وهي: الحقيقة الصوتية، والحقيقة الاجتماعية، ووظيفتها الأساسية التعبير عن الأغراض.

وعرف فرديناند دي سوسير اللغة بأنها: "نظام من الرموز الصوتية الاصطلاحية في أذهان الجماعة اللغوية، يحقق التواصل بينهم، ويكتسبها الفرد سماعاً من جماعته"^٤. فيعتبر تعريف دي سوسير هذا من تعاريف اللغة في علم اللغة الحديث، وقد التقى هذا التعريف مع تعريف ابن جني السابق في الحقائق الثلاثة المذكورة مع إضافة الحقيقة الأخرى وهي أن اللغة مكتسبة من البيئة أو الجماعة اللغوية التي توجد فيها اللغة.

وإذا نظرنا إلى حقيقة لغة الإنسان، وجدنا أنها رموز صوتية، معنى ذلك أن أصل اللغة هو الكلام، وأما الكتابة فهي بديلة عن الكلام عندما لم يتمكن الإنسان أن ينطق

ق م) طفرة في الدراسات اللغوية وبداية جادة لدراسة اللغة عندهم^١.

وأما جهود العرب في الدراسات اللغوية، ففي الفترة من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي تمثل فترة سخية في نشأة علوم اللغة عند العرب والتي نشأت تحت تأثير دافعين واضحين :

١. خدمة الإسلام والمحافظة على القرآن الكريم من اللحن وتيسير سبل فهمه وقراءته على غير العرب ممن دخلوا في الإسلام من الأعاجم،

٢. خدمة اللغة العربية ؛ للتغلب على الثنائية الموجودة في الواقع اللغوي الحي على ألسنة العرب المتمثل في تيار الفصحى واللهجات المختلفة^٢.

وفي هذه المقالة أريد أن أبرز شيئاً من تاريخ اللغة العربية والقرآن الكريم، حيث أثره في مسير اللغة العربية الخالدة. وركزت في هذه الدراسة على تناول المحاور الآتية : (١) حقيقة اللغة ووظائفها، (٢) ومميزات اللغة العربية، (٣) وبعض آثار القرآن الكريم في اللغة العربية.

١ أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند

الهنود وأثره على اللغويين العرب، (بيروت : دار الثقافة، ١٩٧٢م)، ص. ٨٤

٢ محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، (القاهرة : دار غريب، ٢٠٠١م)، ص. ٧٩-٨٠

٣ محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة

الحديث، ص. ٣٣

٤ محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة

الحديث، ص. ٤٣

بلسانه لبعد المسافة بينه وبين المخاطب وعدم إتاحة الوسائل لتحقيق التواصل بالكلام، فعندئذ يلجأ الإنسان إلى الكتابة، فهي محاولة لنقل الظاهرة الصوتية السمعية إلى الظاهرة الكتابية المرئية، كما أنها أيضا محاولة لنقل اللغة من بعدها الزمني إلى البعد المكاني، فالظاهرة الصوتية (الكلام) تتتابع في الزمن والحروف المكتوبة (الكتابة) تتتابع في المكان.

وتعتبر اللغة وسيلة التفاهم والتخاطب والتعبير عن ما تكنه النفس البشرية، فاللغة لا تستعمل للتعبير فقط، ولكنها تستعمل أيضا لإثارة أفكار ووجدانات عند السامع، أي إحداث استجابات عند من توجه إليه، فإذا لم تحدث اللغة استجابة عند السامع فقد فقدت وظيفتها. وقد رأى هاليداي أن من وظائف اللغة هي^٥:

١. الوظيفة النفعية: وهي التي يطلق عليها باسم وظيفة "أنا أريد"، أي باستخدام اللغة يستطيع الإنسان أن يشبع حاجاته ويعبر عن رغباته.

٢. الوظيفة التنظيمية: وهي التي يطلق عليها باسم وظيفة "افعل كذا، ولا تفعل

كذا"، أي باستخدام اللغة يستطيع الإنسان أن يتحكم في سلوك الآخرين لتوجيه المطالب أو النهي، وذلك واضح في اللافتات وما تحمل من توجيه وإرشاد.

٣. الوظيفة التفاعلية: وهي التي يطلق عليها باسم وظيفة "أنا وأنت"، أي باستخدام اللغة يستطيع الإنسان أن يتفاعل مع الآخرين في مجتمعه باعتبار أن الإنسان خلق اجتماعي، لا يستطيع أن يفرق مجتمعه، فاللغة في هذه الحالة تستخدم لتقديم التهاني في المناسبات كما تستخدم في الاحترام والتأدب مع الآخرين.

٤. الوظيفة الشخصية: وهي باستخدام اللغة يستطيع الإنسان أن يعبر عن رؤاه الفردية الشخصية، كما يعبر مشاعره واتجاهاته نحو مواقف معينة، وكذلك يقدم أفكاره للآخرين.

٥. الوظيفة الاستكشافية: وتسمى أيضا بالوظيفة الاستكشافية، وهي باستخدام اللغة يستطيع الإنسان أن يستكشف جوانب وأشياء لا يعرفها في البيئة المحيطة به.

٦. الوظيفة التخيلية: وهي باستخدام اللغة يستطيع الإنسان أن ينسج الأشعارا

^٥أوريل بحر الدين، فقه اللغة العربية، (مالانق: مطبعة جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية

الحكومية، ٢٠٠٩م)، ص. ٧-٨

السنة الأولى - العدد الثاني - يونيو ٢٠١٦م / شعبان ١٤٣٧ هـ

عليه كسب المعارف والمهارات، ووسيلة تكيف الفرد بما يتناسب مع قيمة وقيم وعادات مجتمعه.

٣. الوظائف النفسية: ومنها استخدامها للتأثير والإقناع وذلك بإثارة الوجدان والأحاسيس في نفس السامع، وهذا يعود إلى أسلوب المتكلم الذي يستعمل بأسلوبه المستمع فيجعله يسلك السلوك الذي يريد ويستجيب إلى رأيه، وكذلك الفرد يمكن أن يتأثر بما يقرأ كما يتأثر بما يستمع في المحاورات والمناقشات، واللغة التي تتسم بجمال التعبير قد تحدث في نفس الإنسان من الإحساس بالجمال مالا يحس به المرء في الطبيعة نفسها.

٤. الوظائف العقلية: فاللغة تزود الفرد بأدوات التفكير، وهناك علاقة وطيدة بين الفكر واللغة لأن اللغة أداة الفكر في الوصول إلى المدركات، ومن العقبات في سبيل التفكير الفقر في الألفاظ، فالإنسان لا يستطيع أن يفكر تفكيراً كاملاً إذا لم يجد لفظاً مناسباً لكل مدرك أو فكرة، فاللغة ليست مجرد ألفاظ وإنما اللغة لها علاقة كبيرة بالتفكير، لأن التفكير عملية ذهنية ولا يمكن أن تتم بدون ألفاظ دالة على المعاني، حيث إن

والأغاني التي بها يروح الإنسان نفسه من تعب العمل ويشحذ همته ويدفعه إلى التقدم والإبداع.

٧. الوظيفة الإخبارية: وهي باستخدام اللغة يستطيع الإنسان أن ينقل معلومات جديدة ومتنوعة إلى أقرانه، بل ينقل المعلومات والخبرات إلى الأجيال المتعاقبة وإلى العالم كله.

وأما محمد بن إبراهيم الخطيب فقد ذكر الوظائف الأساسية للغة كالتالي^٦:

١. الوظائف الاجتماعية: وتعني أن اللغة أداة التعبير عن الأفكار والعواطف والانفعالات، وعن طريقها يقوم العقل بجميع وظائفه.

٢. الوظائف الثقافية: وتعني أن اللغة وسيلة لتسجيل التراث العقلي من فنون وآداب وعلوم ومخترعات فتتوارثه الأجيال جيلاً بعد جيل، واللغة مرآة تعكس القدرات العقلية والفكرية لما توصلت إليه أمة من الأمم، فهي عنوان الحضارة في أي عصر من العصور، ووسيلة التعليم وتحصيل الثقافات والأساس الذي يقوم

^٦ محمد بن إبراهيم الخطيب، طرائق تعليم اللغة العربية، (الرياض : مكتبة التوبة، ٢٠٠٣م)، ص.

الفكرة إذا تحددت فلا بد لها من ألفاظ تدل عليها.

ولكل من الرايين السابقين في تقديم وظائف اللغة مميزاته، إلا أنني أرى أن تقسيم محمد بن إبراهيم الخطيب لوظائف اللغة أكثر منهجية، حيث تندرج تحت كل وظيفة وظائف أخرى فرعية. وعلى سبيل المثال تندرج تحت الوظيفة النفسية وظائف أخرى مثل التخيلية والشخصية وما إلى ذلك.

ج. مميزات اللغة العربية:

لكل لغة من اللغات الإنسانية خصائص تمتاز بها عن غيرها، وكذلك اللغة العربية لها مميزات تميزها عن كل لغات العالم، ويجعلها نعمة حقيقية يتمتع بها العارفون بها، والمحبون لها، منها أنها لغة القرآن الكريم التي اختار الله أن ينزل بها آخر كتبه التي سيتعبد به إلى نهاية تاريخ البشرية حيث أن هذه اللغة تتميز بالسعة والتوسع والانتشار، وهي ذات الصفات التي يتميز بها دين الله "الاسلام".

وقال ابن خلدون: "وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحق الملكات وأوضحها بيانا عن المقاصد"^٧، وقد رآها ابن

فارس أنها أفضل اللغات وأوسعها، إذ يكفي ذلك دليلاً أن رب العالمين اختارها لأشرف رسله وخاتم رسالته، فأنزل بها كتابه المبين. ولذلك لا يقدر أحد من التراجم أن ينقل القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى، كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية، وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله عز وجل بالعربية^٨.

وفيما يلي بعض الخصائص التي تميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات، وهي:

١. الخصائص الصوتية:

إذا نظرنا من وجهة نظر أو مقياس جهاز النطق وجدنا أن اللغة العربية تملك أوسع مدرج صوتي عرفته اللغات، حيث تتوزع مخارج الحروف بين الشفتين إلى أقصى الحلق. وقد تجد في لغات أخرى غير العربية حروفاً أكثر عدداً ولكن مخارجها محصورة في نطاق أضيق ومدرج أقصر، كأن تكون مجتمعة متكاثرة في الشفتين وما والاها من الفم أو الخيشوم في اللغات الكثيرة الغنة (الفرنسية مثلاً)، أو تجدها متزاحمة من جهة الحلق.

^٨ أحمد بن فارس، الصحاح في فقه اللغة

وسنن العرب في كلامها، (القاهرة: دون مكان الطبعة، ١٩١٠م)، ص ١٣.

^٧ عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ج ١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ص ٥٤٣.

السنة الثامنة: الأولى - العدد الثاني - يونيو ٢٠١٦م / شعبان ١٤٣٧ هـ

والمسلمين السبق والريادة في الرعاية للجانب الصوتي.^١

٢. خصائص الاشتقاق :

الكلمات في اللغة العربية لا تعيش فرادى منعزلات بل مجتمعات مشتركات كما يعيش العرب في أسر وقبائل. وللكمة جسم وروح، ولها نسب تلتقي مع مثيلاتها في مادتها ومعناها : كتب - كاتب - مكتوب - كتابة - كتاب، فتشترك هذه الكلمات في مقدار من حروفها وجزء من أصواتها. وهذا النوع من مميزات اللغة العربية يسمى بالاشتقاق.

فالاشتقاق في اللغة العربية توليد لبعض الألفاظ من بعض والرجوع بها إلى أصل واحد يحدد مادتها، والاشتقاق يمكن الفرد من التعبير عن الجديد من الأفكار والمستحدث من وسائل الحياة، فنستخدم الفعل الثلاثي ونجري قواعد الصرف فيها، ويكثر فيها اختلاف الحركة في أواخر الكلمات اتباعاً لموقعها من الجملة المفيدة.^٢

وإن اللغة العربية تستخدم هذا الجهاز استخداماً تاماً ولا تهمل وظيفة واحدة من وظائفه، وتتوزع هذه المخارج توزعاً عادلاً يؤدي إلى التوازن والانسجام بين الأصوات. ويراعي العرب في اجتماع الحروف في الكلمة الواحدة وتوزعها وترتيبها فيها حدوث الانسجام الصوتي والتآلف الموسيقي. فمثلاً: لا تجتمع الزاي مع الظاء والسين والضاد والذال.

وأصوات العربية ثابتة على مدى العصور والأجيال منذ أربعة عشر قرناً. ولم يُعرف مثل هذا الثبات في لغة من لغات العالم في مثل هذا اليقين والجزم. وللأصوات في اللغة العربية وظيفة بيانية وقيمة تعبيرية، فالعين تفيد معنى الاستتار والغيبية والخفاء كما نلاحظ في: غاب، غار، غاص، غال، غام. والحيم تفيد معنى الجمع: جمع، جمل، جمء، جمر. وهكذا.^٣

فالخصائص الصوتية يشترك فيها جميع اللغات، ولكنها في اللغة العربية لها قيمتها الخاصة، حيث الاهتمام الأكثر بها من قبل العلماء العرب، وكان للعرب

^١ محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة

الحديث، ص ٤٦.

^٢ محمد بن إبراهيم الخطيب، طرائق تعليم

اللغة العربية، ص ١٢.

السنة الثامنة الأولى - العدد الثاني - يونيو ٢٠١٦م / شعبان ١٤٣٧ هـ

^٣ أوريل بحر الدين، فقه اللغة العربية، ص.

ويعنى الاشتقاق أيضا أخذ كلمة من كلمة أخرى، مع المحافظة على قرابة بينهما، لفظا ومعنى. فإذا أخذنا كلمة "كتب" واشتققنا منها : كاتب، وكتاب، ومكتبة، ومكتوب، وجدنا أن الحروف الأصلية موجودة في كل كلمة من هذه الكلمات، وأن معنى مشتركا يجمع بينها، وهو الكتابة. وعلى عكس اللغة الإنجليزية، حيث توجد في كثير من الأحيان أية صلة ما بين كلمات الأسرة الواحدة، فكتاب في الإنجليزية writer، وكتاب book، ومكتبة library، ومكتوب letter، ويلاحظ أن لا علاقة بين حروف هذه الكلمات.

وهذا ما جعل اللغة الإنجليزية تختلف من جيل لآخر، ولا توجد تلك الصلة اللغوية بين ماضيها وحاضرها، كما هو الحال في اللغة العربية. فلغة شكسبير، وهو من أدباء القرن السابع عشر لا تكاد تفهم عند كثيرين من المثقفين اليوم إلا المتخصصين في الأدب الإنجليزي.^{١٢}

٣. خصائص الإعراب :

فالإعراب من خصائص اللغة العربية، وهو الفارق بين المعاني المتكافئة في

اللفظ وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ويعرف الفاعل من المفعول، ولولاه ما ميز المضاف من المنعوت ولا تعجب من استفهام ولا نعت من توكيد^{١٣}. فحركات الإعراب ليست حلية زائفة، إذ هناك ارتباط وثيق بين الإعراب والمعنى، فنجد أحيانا أن المعنى يتوقف على الإعراب، فعلى سبيل المثال في قوله تعالى: "إنما يُخَشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ" (فاطر : ٢٨)، وقوله : "وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ" (البقرة : ١٢٤)، وقوله : "إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ" (التوبة : ٣). فإن إغفال الإعراب في مثل هذه الآيات يوقعنا في تحريف لمعانيها.

ولا تقتصر وظيفة الإعراب على أواخر الكلمة فحسب، بل تشمل أولائها وأواسطها أيضا، مثل : أَكَلْ - أَكِلْ، سَرَقَ - سُرِقَ، نِعَمَ - نَعَمْ^{١٤}. فالعرب يفرقون بين المعاني بالحركات، يقولون: "مِفْتح (بكسر الميم) للآلة التي يفتح بها، ومَفْتح (بفتح الميم) لموضع الفتح."^{١٥}

^{١٣} أحمد بن فارس، الصحابي في فقه اللغة،

^{١٤} نايف معروف، خصائص العربية، ص. ٤٥.

^{١٥} نايف معروف، خصائص العربية، ص. ٣٩.

^{١٢} نايف معروف، خصائص العربية وطرائق

تدريسها، (بيروت : دار النفائس، ١٩٩٨م)، ص. ٤٣

السنة الأولى - العدد الثاني - يونيو ٢٠١٦م / شعبان ١٤٣٧ هـ

٤. خصائص الترادف :

الترادف يعني تعدد الألفاظ لمعنى واحد أو تعدد المعاني لفظ واحد، والأسباب الحقيقية لكثرة المفردات والمترادفات في اللغة العربية هي :

(أ) إن احتكاك لغة قريش بلجات العربية قد نقل إليها طائفة كبيرة من مفردات هذه اللهجات وانتقل كذلك كثيرا من المفردات التي لم تكن في حاجة إليها.

(ب) إن جامعي المعجمات لم يأخذوا عن قريش وحدها بل أخذوا عن قبائل أخرى، فاشتملت المعجمات على مفردات لم تكن مستخدمة في لغات قريش ويوجد لمعظمها مترادفات في متن هذه اللغة الأصلي وقد دونوا كلمات كثيرة كانت مهجورة في الاستعمال.

(ج) إن الأسماء الكثيرة التي يذكرونها للشيء الواحد ليست جميعها في الواقع أسماء، بل معظمها صفات مستخدمة استخدام الأسماء، فالهندي والحسام والقاطع من أسماء السيف يدل كل منها في الأصل على وصف خاص مغاير لما يدل عليه الآخر.

(د) إن الألفاظ التي تبدو مترادفة هي في الواقع غير مترادفة، بل يدل كل منها على حالة خاصة تختلف على الأخرى، فمثلا : رفق و لحظ و رنا، كل واحدة منها تدل على ما لا تدل عليه غيرها. فرفق تدل على النظر بمجامع العين، ولحظ تدل على النظر من جانب الأذن و رنا تفيد إدامة النظر في سكون. ويمكن أن تعرف هذه الاختلافات في المعنى من خلال البحث في المعاجم، ولذلك هناك بعض العلماء من ينكر إثبات الترادف.^{١٦}

٥. خصائص السهولة :

إن من خصائص اللغة العربية السهولة، فهي هجائية في كتابتها، فيسهل إملاؤها، وغير الهجائي فيها يخضع لقواعد قياسية ثابتة. أما الإنجليزية فلا تكتب كما تنطق، فهناك الحروف الزائدة في كثير من الكلمات، حتى أن متعلم هذه اللغة يضطر إلى حفظ الكلمات وحفظ صورتها في الرسم. وهذا الأمر لا يقتصر على اللغة الإنجليزية فحسب، بل ينطبق على الفرنسية والألمانية وغيرهما من اللغات الأخرى.

^{١٦} محمد بن إبراهيم الخطيب، طرائق تعليم

اللغة العربية، ص. ١١.

السنة الثامنة الأولى - العدد الثاني - يونيو ٢٠١٦م / شعبان ١٤٣٧ هـ

٩) فبحفظ الله تعالى كتابه يحفظ اللغة العربية، فهي باقية ببقائه إلى يوم الدين، ويمكننا ذكر أهم ما أحدثه القرآن الكريم في اللغة العربية من آثار فيما يلي:

١. المحافظة على بقاء اللغة العربية:

إن السر الكامن وراء خلود اللغة والحفاظ عليها من الاندثار هو القرآن الكريم بما كان له من أثر بالغ في حياة الأمة العربية، وتحويلها من أمة تائهة إلى أمة عزيزة قوية بتمسكها بهذا الكتاب الذي صقل نفوسهم، وهذب طباعهم، وطهر عقولهم من رجس الوثنية وعطن الجاهلية، وألف بين قلوبهم وجمعهم على كلمة واحدة توحدت فيها غاياتهم، وبذلوا من أجلها مهجهم وأرواحهم، ورفع من بينهم الظلم والاستعباد، فقد كان القرآن الكريم ولا يزال كالطود الشامخ يتحدى كل المؤثرات والمؤامرات التي حيكت وتحاك ضد لغة القرآن، يدافع عنها.

فلما كان القرآن الكريم بهذه المنزلة لا جرم أن المسلمين أقبلوا عليه ودافعوا عنه، واعتبروا أن كل عدوان على القرآن هو عدوان على اللغة العربية، وأن النيل من اللغة العربية هو نيل من القرآن، ولذلك فإن بقاء اللغة العربية إلى اليوم وإلى

وتتجلى سهولتها أيضا في تصريف أفعالها الثلاثة، وهي تقتصر على : الماضي، المضارع، والأمر، بينما تبلغ الصور التصريفية لأفعال اللغة الفرنسية خمس عشرة صورة، منها خمس للماضي وحده^{١٧}. ثم إن دعوى صعوبة اللغة العربية غير مقبولة، لأن تلك الدعوى نتيجة تكوين الرأي العام من قبل أعداء اللغة العربية، فهم يجتهدون في تصوير صعوبة اللغة العربية بالأشكال والوسائل المتنوعة، حتي تتصور تلك الصعوبة لدى المجتمع، وحتى يبتعد الناس عنها وعن تعلمها، ومن هنا يبتعدون عن تعلم لغة القرآن وفهمه.

د. بعض أثر القرآن الكريم في اللغة العربية:

إن الحديث عن القرآن الكريم وأثره في اللغة العربية حديث شيق يبعث الاعتزاز في النفس بأفضل القرآن الكريم واللغة العربية، وقد اختار الله تعالى لكتابه أفصح اللغات فقال تعالى: "إنا جعلناه قرآناً عربياً" (الزحرف: ٣)، وقال تعالى: "قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلمهم يتقون" (الزمر: ٢٨). ومن الأدلة التي تؤكد وجود أثر القرآن الكريم في اللغة العربية قوله تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" (الحجر: ١٠٦).

^{١٧} نايف معروف، خصائص العربية، ص ٤٩.

وعلى العكس من ذلك فإن اللغة العربية لم تكن لها هذه القوة وهذه المنعة، وليست لغة حضارة وصناعة، إنما كانت لغة صحراء وأمية، بكل ما تفرضه بيئة الصحراء من بساطة وضيق عيش، وبعد عن العلوم والمعارف، ثم إن العرب قد تعرضوا للحروب والدمار كغيرهم، ولكن ما زالت لغتهم قوية ساطعة تنبض بالحياة والنشاط، وما ذلك إلا بفضل القرآن الكريم، الذي تكفل الله بحفظه، فحفظ به اللغة التي نزلت به، ولم يتكفل بحفظ غيره من الكتب المقدسة فبادت اللغة التي نزلت فيها واندثرت.

٢. تقوية اللغة العربية واستقرارها:

منح القرآن الكريم اللغة العربية قوة ورقياً ما كانت لتصل إليه لولا القرآن الكريم، بما وهبها الله من المعاني الفياضة، والألفاظ المتطورة والتراكيب الجديدة، والأساليب العالية الرفيعة، فأصبحت اللغة العربية تتألق وتتباهى على غيرها من اللغات بما حازت عليه من محاسن الجمال وأنواع الكمال، وفي هذا يقول العلامة الرافعي رحمه الله: "نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نمط يعجز قليله وكثيره معاً، فكان أشبه شيء بالنور في جملة نسقه، ثم هو بما تناول

ما شاء الله راجع إلى الدفاع عن القرآن، لأن الدفاع عنه يستتبع الدفاع عنها لأنها السبيل إلى فهمه، بل لأنها السبيل إلى الإيمان بأن الإسلام دين الله، وأن القرآن من عند الله لا من وضع النبي وأصحابه. فالقرآن الكريم بحكم إنه لسان الإسلام الناطق ومعجزاته الباقية، هو الذي حفظها من الضياع.^{١٨}

وإذا قرأنا التاريخ، وجدنا أن هناك أمم كثيرة مضت، ولتلك الأمم لغات سايرت حياتها الاجتماعية والسياسية جنباً إلى جنب. وكان تلك اللغات مرآة تنعكس عليها صور وجودها وألوان حياتها، فرقت برقيها، وضعفت بضعفها، ثم أصبحت يعرفها التاريخ أن عفت آثاره ودرست معالمه، فملا يدركه الناس عن طريق وجود قائم، وإنما يدركونه من طريق تاريخ متحدث. ويبدو هذا الأمر واضحاً لمن تتبع اللغات وما تعرضت له من انقسام وانشطار واندثار بعد أن كانت لغة عالمية محكية وصناعية، وليست اللغة اللاتينية عنا ببعيدة فقد كانت لغة وحضارة وسطوة وقوة فبقيت أثراً بعد عين.

^{١٨} أوريل بحر الدين، فقه اللغة العربية،

فإنه قد جعلها مستقرة أيضا رغم أن التطور سنة جارية في كل اللغات. فاللغة العربية ظلت محتفظة لكل مستوياتها اللغوية (الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والدلالية)، وأما ما تطور منها كان في إطار المعاني الأصلية وعلى صلة بها.^{١٩}

ومما يدل على استقرار اللغة العربية، أنها رغم مرور أربعة عشر قرناً، لا يكان الإنسان يجد صعوبة في فهم نصوص القرآن والسنة النبوية، وتصادفه غرابة في الألفاظ. ثم إن ميزة استقرار اللغة العربية التي تفردت بها عن سائر اللغات التي تغيرت وتبدلت تغيراً وتبدلاً يؤدي بنا إلى التساؤل عن سبب هذه المزية، ولن نجد سبباً مقنعاً لهذه المزية إلا أنها أثر من آثار القرآن الكريم.^{٢٠}

٣. توحيد لهجات اللغة العربية:

إن اللغة العربية كانت لها لهجات مختلفة، تحتوي على الفصح والأفصح، والردية والمستكره، وكانت القبائل العربية معتدة بلهجتها حتى إن القرآن الكريم نزل

بها من المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز، وصورها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز، وما ركبها به من المطاوعة في تقلب الأساليب، وتحويل التركيب إلى التراكيب، قد أظهرها مظهراً لا يقضى العجب منه لأنه جلاها على التاريخ كله لا على جيل العرب بخاصته^{١٩}.

ويقول بروكلمان: "بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا، والمسلمون جميعاً مؤمنون بأن اللغة العربية هي وحدها اللسان الذي أحل لهم أن يستعملوه في صلواتهم، وبهذا اكتسبت اللغة العربية منذ زمان طويل ربيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى التي تنطلق بها شعوب إسلامية"^{٢٠}.

ومما لا شك فيه أن اعتراف أمثال هؤلاء، لا يقوي من وضع اللغة العربية أو يأخذ بيدها إلى الرفعة، وإنما ذكرنا أقوالهم لنبين أن الفضل ما شهدت به الأعداء. وكما منح القرآن الكريم اللغة العربية قوة ورقياً،

^{١٩} محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة

الحديث، ص. ٢٣

^{٢٠} محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة

الحديث، ص. ٢٦

^{١٩} الرافعي، تاريخ آداب العرب ج ٢، (بيروت :

دار الكتاب العربي، ١٩٧٤م)، ص. ٧٤

^{٢٠} كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ج

١، (دون مكان الطبعة: دون طبعة، دون سنة)، ص. ٢٣.

السنة الثامنة: الأولى - العدد الثاني - يونيو ٢٠١٦م / شعبان ١٤٣٧ هـ

ومن البقايا اللهجية ما يسمى بطمطمانية وهي لهجة أهل حمير، حيث كانت تنطق "ام" بدلا من "ال" للتعريف في صدر الكلمة. ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس من البر الصيام في السفر" (رواه البخاري). ولكن هذا الحديث يروى قاله الرسول صلى الله عليه وسلم باللهجة الطمطمانية وهي: "ليس من امبر امصيام في امسفر".

ولقد أدى اختلاف هذه اللهجات وتباعدها إلى صعوبة الفهم بين القبائل، ويشهد لذلك قول علي رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد سمعه يخاطب بني نهد فيمن وفد عليه من قبائل العرب عام الوفود: يا رسول الله، نحن بنو أب واحد، ونراك تكلم وفود العرب بما لم نفهم أكثر. فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: "أدبني ربي فأحسن تأديبي".^{٢٣}

وواضح من الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يخاطب كل قوم بلسانهم، حتى يفهموا.

على سبعة أحرف من أجل التخفيف على العرب في قراءته وتلاوته، ولا شك أن لغات العرب متفاوتة في الفصاحة والبلاغة، ولذلك نجد عثمان رضي الله عنه قد راعى هذا الجانب في جمعه للقرآن، وقال للجنة الرباعية: "إذا اختلفتم أنتم فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلغتهم" وما ذلك إلا لأن لغة قريش أسهل اللغات وأعذبها وأوضحها وأبينها، وكانت تحتوي على أكثر لغات العرب، ونظراً لكونهم مركز البلاد وإليهم يأوي العباد من أجل الحج أو التجارة، فقد كانوا على علم بمعظم لغات العرب بسبب الاحتكاك والتعامل مع الآخرين، ولكن لغتهم أسهل اللغات.

وكان من أسباب ظهور هذه اللهجات انعزال القبائل عن بعضها، وضعف وسائل الاتصال بينها، بالإضافة إلى العزل الخلقية المتصلة بالعملية اللغوية من سوء السمع وسوء الأداء. وأوضح مثال فيما يتعلق بوجود اللهجات العربية هو ظاهرة الإمالة، وأشهر أمثلتها: "الضحى"، "سجى"، "قلى"، بإمالة الفتحة الأخيرة إلى كسرة، والألف التي بعدها إلى ياء في الأمثلة السابقة.

^{٢٣} محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة

الحديث، ص ٢٥٠٢٦

السنة الأولى - العدد الثاني - يونيو ٢٠١٦م / شعبان ١٤٣٧ هـ

٤. جعل اللغة العربية لغة عالمية:

اللغة هي صورة صادقة لحياة الناطقين بها، والعرب قبل نزول القرآن الكريم، لم يكن لهم شأن ويذكر أو موقع بين الأمم آنذاك حتى تقبل الأمم على تعلم لغتهم، والتعاون معهم فليست لغتهم لغة علم ومعرفة، وكذلك ليس لديهم حضارة أو صناعة، كل ذلك جعل اللغة تقبع في جزيرتها فلا تبرز إلا لتعود إليها. والأمة العربية في ذاك الوقت لم تكن الأمة التي يغري مركزها السياسي أو الديني أو الاجتماعي بالتحبب إليها والاتصال بها. واللغة العربية نفسها لم تكن لغة علوم ومعارف.

وقد ظلوا كذلك، حتى جاء القرآن الكريم، يحمل أسمى ما تعرف البشرية من مبادئ وتعاليم، فدعا العرب إلى دعوة الآخرين إلى دينهم، ومما لا شك فيه أن أول ما يجب على من يدخل في الإسلام هو تعلم اللغة العربية لإقامة دينه، وصحة عبادته، فأقبل الناس أفواجا على تعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم، ولولا القرآن الكريم لم

يكن للغة العربية هذا الانتشار وهذه الشهرة.^٤

٥. جعل اللغة العربية لغة تعليمية:

من الثابت المعروف أن العرب قبل نزول القرآن كانوا يجرون في كلامهم وأشعارهم وخطبهم على السليقة، فليس لغتهم تلك القواعد المعروفة الآن، وذلك لعدم الحاجة إليها، ولا أدل على ذلك من أن التاريخ يحدثنا عن كثير من العلماء الذين صرحوا أن لغتهم استقامت لما ذهب بهم إلى الصحراء لتعلم اللغة العربية النقية التي لم تشبها شائبة، ومن هؤلاء الإمام الشافعي، وأن الوليد بن عبد الملك كان كثير اللحن، لأنه لم يغترف لغته من الينبوع العربي الصحراوي الصافي.

ولما اتسعت الفتوح، وانتشر الإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجا، احتك العجم بالعرب فأفسدوا عليهم لغتهم، مما اضطر حذيفة بن اليمان الذي كان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، أن يرجع إلى المدينة المنورة ويقول لعثمان رضي الله عنه: "يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في

^٤ أوريل بحر الدين، فقه اللغة العربية،

كما أزال أيضا كثيرا من الألفاظ التي تعبر عن معان لا يقرها الإسلام، ومن ذلك : المربع، وهو ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية. والنشيط، وهي ما أصاب الرئيس قبل أن يصير إلى القوم، أو ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل بلوغ الموضع المقصود. والمكس، دراهيم كانت تؤخذ من بائعي السلع في أسواق الجاهلية.^{٥٠}

٧. إثراء وتنمية اللغة العربية:

لقد أضاف القرآن الكريم نمودجا للتعبير بالعربية لم تعرفه العربية من قبل، نمودجا له الخلود والبقاء لا تمسه يد التغيير والتحريف. وقد كانت العربية قبل نزول القرآن الكريم تُصنّف إلى شعر ونثر، فلما نزل القرآن صارت نماذج التعبير اللغوي في العربية ثلاثة : قرآنا وشعرا ونثرا. ولا ينبغي أن يصنّف القرآن تحت عنوان النثر، لأن القرآن ليس بنثر، ولا بشعر، إنه كلام رب العالمين.

كما استحدث القرآن الكريم أسماء جديدة، من ذلك ما يعرف بالألفاظ الإسلامية التي جاءت تعبيرا عن المعاني الإيمانية الجديدة، التي لم يكن للعرب

كتابتها اختلاف اليهود والنصارى...". فأمر عثمان بجمع القرآن، وهذا ما حصل، فقد ضعفت اللغة مع مرور الأيام وفشا اللحن في قراءة القرآن، الأمر الذي أفزع أبا الأسود الدؤلي وجعله يستجيب لوضع قواعد النحو، التي هي أساس ضبط حركات الحروف والكلمات، ومن ثم العمل على ضبط المصاحف بالشكل حفاظاً على قراءة القرآن من اللحن والخطأ.

وليس هذا فحسب، بل يرجع الفضل للقرآن الكريم في أنه حفظ للعرب رسم كلماتهم، وكيفية إملائهم، على حين أن اللغات الأخرى قد اختلفت إملاء كلامها، وعدد حروفها.

٦. تهذيب اللغة العربية:

ولقد أزال القرآن الكريم عن اللغة التقعر في الكلام، والغريب، والألفاظ الحوشية الثقيلة على السمع. وإن من يتأمل الأدب الجاهلي ويتدبره، يزداد إيمانا بما للحضارة من أثر ألفاظ اللغة، فإنه سيرى في أدب أهل الوبر كثيرا من مثل "جحيش" و"مستشزرات" و"وجلنجع"، وما إلى ذلك مما ينفر منه الطبع، وينبو عنه السمع، على حين أنه يكاد لا يصادفه من ذلك شيء في أدب القرشيين.

^{٥٠} محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة

الحديث، ص ٣٩.

السنة الأولى - العدد الثاني - يونيو ٢٠١٦م / شعبان ١٤٣٧ هـ

معرفة بها، ومن ذلك: الإيمان، والكفر، والصلاة، والزكاة، والحج، والمغفرة. كانت لتلك الكلمات معاني تختلف عن معانيها الجديدة التي اصطلح عليها القرآن.

وكذلك الألفاظ الاصطلاحية التي نشأت في رحاب العلوم الشرعية المرتبطة بالقرآن الكريم مثل : التوحيد، والفقه، وأصول الفقه، والتفسير، والنحو، والصرف ... ولقد كان القرآن -بحق- السبب المباشر والرئيس وراء نشأة علوم العربية وكان لكل علم من هذه العلوم مصطلحاته الخاصة.^{٢٦}

٨. القرآن مفجر علوم العربية:

من أجل خدمة القرآن الكريم، ومحاولة تيسير فهمه ونطقه على المسلمين الأعاجم، ولصيانتهم من اللحن والتحريف، قامت جهود فريدة لخدمة هذا الكتاب، فنشأت علوم لخدمة القرآن الكريم بصورة مباشرة، هي : علوم القرآن، لدراسة كل ما يتصل بالقرآن نت مكي ومدني، وأسباب النزول، وأول ما نزل وآخر ما نزل والقراءات القرآنية ونحو ذلك.

وكما كان للمفسرين دور بارز في تفسير آيات القرآن الكريم، فقد شارك

معهم اللغويون بدور مميز، حيث تناولوا لغات القرآن الكريم، من ذلك : "لغات القرآن" للأصمعي، و"لغات القرآن" للفراء. كما تناولوا غريب القرآن الكريم، من ذلك : "غريب القرآن الكريم" لابن قتيبة.

وكان للنحويين أيضا مشاركة فعالة على نحو ما نجده عن الأخفش والكسائي والفراء في مؤلفاتهم تحت عنوان : "معاني القرآن".^{٢٧}

هـ. الخلاصة

من خلال هذه الدراسة التاريخية المتعلقة بأثر القرآن الكريم في اللغة العربية، فقد توصل الباحث إلى أهم النتائج التالية :

١. إن حقيقة اللغة هي الكلام، وأن الصورة الصوتية المنطوقة هي المقام الأول لطبيعة اللغة. فمن الطبيعي أن تكون العناية باللغة هي العناية بالكلام.
٢. أن وظيفة اللغة الأساسية هي التعبير أو التواصل أو التفاهم، ويمكن تفصيلها إلى الوظيفة الاجتماعية، والثقافية، والنفسية، والعقلية.

^{٢٦} محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة

الحديث، ص. ٣٦-٣٧

^{٢٧} محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة

الحديث، ص. ٣٦-٣٧

- Al Khaṭīb, Muḥammad ibn Ibrāhīm. *Ṭarāiq Ta'lim al Lughah al 'Arabiyyah*. Riyadh: Maktabah al Taubah, 2003.
- Al Rāfi'i. *Tārīkh Ādāb al 'Arab*. Beirut: Dār al Kitāb al-'Arabi, 1974.
- Brucklman, Karl. *Tārīkh al Adab al 'Arabi*. Ttp, Tt.
- Dāwūd, Muḥammad Muḥammad. *al-'Arabiyyah wa 'Ilm al Lughah al Ḥadīs*. Kairo: Dār Garīb, 2001.
- Fāris, Ahmad ibn. *al-Ṣāhibi fī Fiqh al Lughah wa Sunan al 'Arab fī Kalāmiha*. Kairo: Tp, 1910.
- Khaldūn, Abd al Rahmān ibn. *Muqaddimah*. Beirut: Dār ihya' al-Turās al-'Arabi.
- Ma'rūf, Naif. *Khaṣāiṣ al 'Arabiyyah al-'Arabiyyah wa Ṭarāiq Tadrīsīha*. Beirut: Dār al Nafāis, 1998.
- 'Umar, Aḥmad Mukhtār. *al-Baḥs al Lughawi 'Inda al Hunūd wa Āsaruhu 'ala al Lughawīyyīn al 'Arab*. Beirut: Dār al-Ṣaqāfah, 1972.
- 'Iṭr, Nur al Dīn. *Al Qur'an al Karīm wa al Dirāsāt al Adabiyah*. Damaskus: Jāmiyah Dimasyq, 1992.

٣. تتميز اللغة العربية بخصائص انفردت بها عن غيرها من لغات الدنيا، ومن مميزاته تتمثل في الخصائص الصوتية ولغة الاشتقاق ولغة الإعراب ولغة الترادف وأنها اللغة السهلة.
٤. لقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ اللغة العربية بحفظه للقرآن الكريم.
٥. هناك بعض أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، ومنها : المحافظة على بقاء اللغة العربية، وتقوية اللغة العربية واستقرارها، وتوحيد لهجات اللغة العربية، وجعل اللغة العربية لغة عالمية، وجعل اللغة العربية لغة تعليمية، وتهذيب اللغة العربية، وإثراء وتنمية اللغة العربية، والقرآن مفجر علوم العربية.

المراجع

- Al Bagdādi, Abū al-Faṭḥ 'Uṣmān ibn Jinny al-Muṣīlī. *al-Khaṣāiṣ Taḥqīq Muḥammad Ali al-Najjār*. Kairo: al-Haiah al-Miṣriyah al-'Āmmah li al Kitāb, 1986.
- Al Bāqūrī, Ahmad Ḥasan. *Āsar al Qurān al-Karīm fī al Lughah al-'Arabiyyah*. Meṣir: Dār al Ma'arif, 1969.
- Al Jundī, Anwār. *Al Lughah al 'Arabiyyah Baina Ḥumatiha wa Khuṣūmiha*. Beirut : Mataba'ah al Risālah, tt.
- Al Dīn, Urīl Bahr. *Fiqh al Lughah al 'Arabiyyah*. Malang: Maṭba'ah Jāmi'ah Maulānā Mālik Ibrāhīm al Islamiyyah al Hukūmiyah, 2009.